



زاوية النظر تتغير حسب المصلحة

وهنا، بلغت الخبيرة إلى أن الأمر لا يقتصر على الولايات المتحدة فقط، بل يشمل أيضا القوى الخليجية، وخاصة السعودية والإمارات، اللتين بدأتا تنتهجان سياسات أكثر تنوعا في الحلفاء وانفتاحا أكبر على مناطق مختلفة من العالم، من آسيا إلى أفريقيا. وقد صارت أذربيجان وجهة اقتصادية مهمة للإمارات على مستوى المنطقة. وبالمثل تشهد العلاقات السعودية الأثرية تطورا ترجمه العديد من الاتفاقيات التي تم توقيعها في السنوات القليلة الماضية، والتي من شأنها، وفق الخبراء، أن تشكل مصدر تنوع اقتصادي وتجاري لأذربيجان، يعدل ميزانها التجاري في حال مالت الكفة نحو الحلف المواجه لإيران، التي زادت التجارة بينها وبين أذربيجان بنسبة 11 في المئة عام 2019.

الاستراتيجية الأخرى مثل أوزبكستان وكان أذربيجان بعلاقات أقوى مع واشنطن لتعويض اعتمادها على القوى الإقليمية وجوارها بشكل مباشر. وتمكن المصالح الاستراتيجية لأذربيجان في الحفاظ على الحكم المستقل، واستعادة الأراضي المفقودة، وتوسيع اقتصادها من خلال صادرات الطاقة والبنية التحتية. ويمكن للولايات المتحدة أن تلعب دورا أكبر في مساعدة باكو على تحقيق بعض هذه الأهداف على الأقل، وهو ما سيؤدي بدوره إلى تحسين موقف واشنطن الاستراتيجي فيما يتعلق بإيران والقوى الأخرى، مثل روسيا والصين، التي تتنافس من أجل النفوذ وتحاول كسب أعلى يد في منطقة جنوب القوقاز.

أداة يمكن استخدامها ضد طهران. وكان مستشار الأمن القومي الأمريكي السابق جون بولتون، أشار خلال زيارة إلى باكو عام 2018، إلى الجهود المشتركة بين أذربيجان والولايات المتحدة "لوقف سلوك إيران الخبيث في جميع أنحاء المنطقة بما في ذلك دعمها للإرهاب وسعيها لنشر الأسلحة النووية". ومن أجل التركيز على مواجهة إيران خصص البنتاغون أكثر من 100 مليون دولار كمساعدات عسكرية لأذربيجان وخدمات الحدود في عامي 2018 و2019. وإذا كانت الولايات المتحدة ستزيد من علاقاتها الاقتصادية والتجارية مع أذربيجان وتبني ارتباطا سياسيا أكثر تعاونا مع باكو، فإن هذا من شأنه بالتأكيد أن يعطي باكو وقفة حول المدى الذي تتعامل معه اقتصاديا وسياسيا مع طهران. وكما هو الحال مع الدول

أذربيجان لاعب استراتيجي صاعد يتعامل بحذر مع إيران

واشنطن تتطلع لاستقطاب باكو في حلفها الداعم لسياسة الضغط القوي على طهران

ويشير الباحث في معهد السياسات الدولية أوجين شوسوفسكي إلى أن أذربيجان تشعر بالقلق إزاء بعض الناشطين الدينيين المتأثرين بإيران. ويتفق أوجين شوسوفسكي مع تورنيك شراهنزيرز على أن مساعي إيران فشلت؛ حيث تميل نخبة أذربيجان إلى أن تكون أكثر علمانية، والرئيس الأذري، إلهام علييف، يسيطر بإحكام على الوضع الأمني ويشدد على أي معارضة سياسية. إلى جانب العامل الطائفي، حاولت إيران أن تتدخل أكثر في صراع ناغورني كاراباخ، وهو إقليم تتنازع عليه أذربيجان مع أرمينيا. وساعد صراع ناغورني كاراباخ على تشكيل التحالفات الإقليمية لمنطقة جنوب القوقاز في مرحلة ما بعد الاتحاد السوفيتي. فاندتمت أرمينيا إلى روسيا كضامن أمن واستضافت 5000 جندي روسي. وانضمت جورجيا إلى الغرب، حيث تتطلع إلى العضوية في الاتحاد الأوروبي وحلف الناتو. وانضمت أذربيجان كذلك إلى تركيا. لكن، رغم ما يجمعهما، كانت أذربيجان حريصة على الحد من مدى تحالفها مع تركيا ولم تكن عضوا رسميا في أي تحالفات اقتصادية أو أمنية معها.

ولا تبدو علاقة أذربيجان بروسيا أقل تعقيدا. فعلى الرغم من دعم روسيا لأرمينيا، أقامت أذربيجان علاقة عملية مع موسكو. وقد استتبع هذا التعاون في المجال الاقتصادي والطاقة وحتى في المجال العسكري، بما في ذلك الشراء المحدود للأسلحة الروسية. وبالمثل تأتي علاقاتها مع الولايات المتحدة.

الحلف المعادي لإيران

بالنسبة إلى أذربيجان، كان الدعم المالي والسياسي الأمريكي حاسما في إنشاء وتوسيع ممر الغاز الجنوبي، وهي شبكة خطوط أنابيب الطاقة التي تتدفق غربا من باكو. لكن انتقاد الولايات المتحدة لسجلات أذربيجان الديمقراطية وحقوق الإنسان وكذلك رغبة باكو المحدودة في المشاركة في مشاريع مع الاتحاد الأوروبي من خلال مبادرات الشراكة الشرقية أحدثت توترات. ومع ذلك، قد تتغير المعادلة لصالح أذربيجان. ويفسر أوجين شوسوفسكي ذلك لاجل أن واشنطن ترى في باكو

تحتل أذربيجان أولوية في أذهان صناع السياسة في الولايات المتحدة في غمرة انشغالهم بكيفية التعامل مع إيران، فالدولة الصغيرة أذربيجان لديها مصلحة كبيرة في التوترات الأميركية الإيرانية، ويمكن أن تشكل أحد الأدوات المساعدة على تنفيذ سياسة الضغط القوي ضد إيران.

باكو - تتصدر دول مثل العراق ولبنان وليبيا وسوريا خارطة الدول محل تنافس ونفوذ العديد من القوى. لكن، هناك دولا أخرى لا تقل أهمية لكنها لا تظهر في واجهة الأولويات. من هذه الدول أذربيجان، هذه الدولة السوفيتية السابقة، التي تحمل كل مقومات اللاعب الاستراتيجي الصاعد، وهي تحتل موقعا هاما في الصراع الإقليمي بين "الحلفاء" الثلاثة إيران وروسيا وتركيا، كما دخلت الصين على خط المنافسة، وتنزل الولايات المتحدة بثقلها فيها، خاصة في سياق معادلة سياسة الضغط القوي ضد إيران، فيما بدأت قوى خليجية تستشرف بدورها مميزات هذا الميدان.

قوة الجغرافيا

تقع أذربيجان، وهي دولة ذات غالبية عرقية من أصول تركية، في منطقة جنوب القوقاز الاستراتيجية، وهي جسر بري يربط أوروبا وآسيا. وتوجد منطقة جنوب القوقاز في منتصف المنطقة التي تفصل بين بحري قزوين والأسود من الشرق والغرب وتحتها روسيا من الشمال وتركيا من الجنوب الغربي وإيران من الجنوب الشرقي.

وكانت تقارير أمنية أذرية كشفت عن مساع إيرانية لاستقطاب شعبة البلاد، واستتساح تجارب نيجيريا والعراق ولبنان. ويصف الباحث في المعهد الجورجي للشؤون الخارجية تورنيك شراهنزيرز أذربيجان بأنها "مصدر قلق رئيسي في المنطقة بالنسبة إلى إيران، التي تضم أقلية أذرية في شمالها، لأنها منافس محتمل كدولة يسيطر عليها الشيعة وتمتلك قوة طاقة". واتهمت باكو طهران في عدة مناسبات بأن لديها خططاً لإطاحة بالحكومة. وقامت السلطات الأذرية بنش حملة اعتقالات كبيرة لخلايا التجسس الإيرانية في البلاد عام 2012.



تورنيك شراهنزيرز

أذربيجان مصدر قلق رئيسي في المنطقة بالنسبة إلى إيران



أوجين شوسوفسكي

إيران فشلت في استقطاب شعبة أذربيجان

الطريقة الروسية أنجح أسلوب في التعامل مع النظام التركي

ساحة القتال في ليبيا، لتدعم صفوف جماعة الإخوان المسلمين، التي تسيطر على حكومة طرابلس. لكن، لم بشر أي من المسؤولين الغربيين بأصابع الاتهام إلى أنقرة في هذه التعاملات، وعمدوا بدلا من ذلك إلى الإقرار بدورها "المهم". إجمالا، يغض الغرب الطرف دائما عن غزو أنقرة للأراضي السورية وصفقاتها العلنية مع المنظمات الإرهابية، بينما ترفض روسيا ذلك. ويتحلى الغرب تبعات هذه الحسابات الخاطئة، المتعملة في تدفق المزيد من النازحين واستفحال النظام المستبد في أنقرة، بينما تتعامل روسيا بأسلوبها الخاص الذي لا تهاون فيه.

من ثم، فإن هناك أكثر من درس يجب استخلاصه من اتفاق موسكو. أول هذه الدروس أن الحلول الوسط والاسترضاء لا يجديان نفعا مع أردوغان، بينما الإحتواء هو الأسلوب الوحيد المجدي. قد يكون من الطبيعي ألا تجيد الديمقراطيات الحديث إلى الدول غير الديمقراطية، بينما تتعامل الأنظمة غير الديمقراطية بمزيد من الصراحة، وبشكل مباشر، مع بعضها البعض. وكما يقول المثل التركي، فإن "الزندق يغلبه الكافر" أو "لا يُمسك الصلح إلا لمن مثله".

أكثر من درس يجب استخلاصه من اتفاق موسكو. أول هذه الدروس أن الحلول الوسط والاسترضاء لا يجديان نفعا مع أردوغان، بينما الإحتواء هو الأسلوب الوحيد المجدي.

وقد يكون من الطبيعي ألا تجيد الديمقراطيات الحديث إلى الدول غير الديمقراطية، بينما تتعامل الأنظمة غير الديمقراطية بمزيد من الصراحة، وبشكل مباشر، مع بعضها البعض. وكما يقول المثل التركي، فإن "الزندق يغلبه الكافر" أو "لا يُمسك الصلح إلا لمن مثله".

الاهلية الليبية، ويصُدر الجهاديين هنا وهناك إلى أفريقيا، ويتجاهل واجبات تركيا ومسؤولياتها كعضو في حلف شمال الأطلسي بدخوله في شراكة مع بوتين وتهديده العلني لبلدين عضوين في الاتحاد الأوروبي: قبرص واليونان. وكل ما يقوم به أردوغان تجاه الإمارات الغربية المتساهلة، يمز دون رادع. ويلجأ الغربيون بشكل منهج للمصطلحات اللطيفة مثل "المتطرفون المدعومون من تركيا"، لكن تلك الجماعات المسماة بالمتطرفة لم تعد المعارضة التي تواجه نظام دمشق. نجد الغرب أيضا يتحدث عن "مخاوف تركيا الأمنية المشروعة" عندما تكون تلك المخاوف غير مرتبطة بأي تهديد، وإنما ترتبط بغزو الأراضي السورية عبر تجريد الأكراد والإيزيديين والعلويين من إنسانيتهم.

ما ينظره أردوغان من الغرب واضح: مزيد من المال ومزيد من الدعوات الغربية لوقف إطلاق النار، لكي تتمكن تركيا من إعادة تنظيم عمليات الجهاديين في سوريا وفي أماكن أخرى. ووفقا ليوريل، فإن "الدور المهم الذي تلعبه تركيا في ليبيا" سرٌ مُعلن، وهو أن أنقرة تصدّر المرتبة الجهاديين مباشرة من ميدان المعركة في سوريا إلى

قادرا على تقديم ما هو أفضل من ذلك، ما لم يضطر إلى مواجهة تلك الجماعات والسلاح عليها.

تعرف موسكو جيدا أن أردوغان غير قادر على التعامل مع الإرهابيين الذين يُسعد استقطابهم من أنحاء المنطقة وتصديرهم لماكن بعيدة في المنطقة ذاتها. وتعرف موسكو أن أفعال أنقرة العسكرية في كل مكان في سوريا هي التي تطيل أجل الحرب الأهلية، ومن ثم تُفرض المزيد من اللاجئين. ويتمحور أسلوب موسكو المتصلب (الخطوط الحمراء الروسية) في التعامل مع أنقرة حول هذه الافتراضات الأساسية. وقد تسمح طريقة التعامل هذه بمساحة لأنقرة، تستطلع من خلالها أن تفرغ غضبها بشكل مثير للسخرة على حساب الأكراد والجيش السوري، لكن من دون تجاوز الخطوط الحمراء التي وضعتها روسيا، والتي تستلزم الحفاظ على وحدة الأراضي السورية ومحاربة الجماعات الإرهابية. أما الغرب، فيعيش في كوكب آخر عندما يتعلق الأمر بهذه الحقائق الصعبة، فأولا يناهز الغرب بنفسه عن لوم النظام التركي، ويسعى قاده إلى استرضاء أردوغان، على الرغم من أنهم يعلمون أنه من شأنه نار الحرب في سوريا، ويُفرض اللاجئين، ويبتز بهم الاتحاد الأوروبي، وينفخ في نار الحرب

عضو حلف شمال الأطلسي، في شباك بوتين، أو - وربما هذا هو الأسوأ - انسلاخها عن الحلف بالمعنى الحرفي للكلمة.

أسلوب موسكو في التعامل مع أنقرة أسلوب متصلب، بينما يلتزم الغرب بالبحث المستمر عن الحلول الوسط دون كلل أو ملل. ومن المؤكد أن موسكو أعطت أردوغان ما يكفي من معسول الكلام لاستهلاك المحلي، مثل عودها بأن "تعاقب الجيش العربي السوري إذا نفذ هجوما"، على الرغم من أن هذا أمر خارج عن السياق وغير قابل للتطبيق في منطقة الحرب. إذا هاجم من؟ الجيش السوري لا يهاجم تركيا، وإنما يهاجم وكلاءها الذين تحميهم في سوريا. وينص اتفاق موسكو على أن تستمر حرب الجيش السوري ضد الجماعات الإرهابية المدرجة على قوائم الأمم المتحدة، سواء رضي جيش أردوغان بذلك أم رفض. ويظهر هذا قوة الاتفاق الذي فرضته موسكو، ويبيّن أن ما يبدو وقفا للأعمال العدائية ليس إلا مجرد سراب، حيث لا يملك أردوغان القدرة على إجبار الجماعات الإرهابية على الانسحاب وفقا لاتفاق موسكو الذي وقعه بالنيابة عن تلك الجماعات. ولم يف أردوغان بوعوده السابقة بقمع هذه الجماعات، ولن يكون

في الخامس من مارس، ذهب رجب طيب أردوغان مجددا لاستخدام مُعلمه، الرئيس الروسي فلاديمير بوتين، حاملا معه الكثير من الأمانى والفكر الحالم بشأن وجود الجيش التركي في سوريا. وغنى عن القول إنه رجح خالي الوفاض، اللهم إلا من القليل من الكلام المعسول الذي يصعب تحويله إلى حقيقة على أرض الواقع.

وفي المجلد، فإن النظام في دمشق، ورفيقي سلاحه - الرفيق الرسمي روسيا، وغير الرسمي إيران - حصلوا على كل ما كانوا يريدونه من أردوغان، الوائق من نفسه إلى درجة الغرور، بالوسائل الدبلوماسية الأكثر دهاء. في الوقت ذاته، كان الغرب يتعامل مع تركيا في عدد من القضايا محل الاهتمام المشترك. من بين هذه القضايا سبل اللاجئين الذي من المحتمل أن ينهمر من منطقة الحرب في شمال غربي سوريا، والوضع الأشبه بالحرب الذي صنعه تركيا على الأراضي التركية واليونانية والحدود البحرية من خلال تشجيعها عشرات الآلاف من المهاجرين على تجاوز الحدود صوب أوروبا، والخوف المستمر من سقوط تركيا،



جينكيز أكتار كاتب تركي

